[ 205 ] فقال معاوية: مرحبا يابن بنت رسول ا وابن صنو أبيه (1)، ثم انحرف إلى الناس، فقال: هذان شيخا بني عبد مناف، وأقبل عليهما بوجهه وحديثه، فرحب وقرب، وجعل يواجه هذا مرة، ويضاحك هذا أخرى، حتى ورد المدينة، فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان، يسلمون عليه ويسايرونه إلى أن نزل، فانصرفا عنه فمال الحسين إلى منزله، ومضى عبد ا بن عباس إلى المسجد فدخله. وأقبل معاوية ومعه خلق كثير من أهل الشام، حتى أتى عائشة أم المؤمنين فاستأذن عليها فأذنت له وحده، ولم يدخل عليها معه أحد، وعندها مولاها ذكوان. فقالت عائشة: يا معاوية، أكنت تأمن أن أقعد لك رجلا فأقتلك كما قتلت أخي محمد بن أبي بكر ؟ (2) فقال معاوية: ما كنت لتفعلي ذلك، قالت: لم ؟ قال: لاني في بيت آمن، بيت رسول ا. ثم إن عائشة حمدت ا وأثنت عليه، وذكرت رسول ا صلى ا عليه وسلم وذكرت أبا بكر وعمر، وحضته على الاقتداء بهما، والاتباع لاثرهما، ثم صمتت. قال: فلم يخطب معاوية، وخاف أن لا يبلغ ما بلغت، فارتجل الحديث ارتجالا، ثم قال: أنت - وا يا أم المؤمنين - العالمة با وبرسوله، دللتنا على الحق، وحضضتنا على حظ أنفسنا، وأنت أهل لان يطاع أمرك، ويسمع قولك، وإن أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم، وقد أكد الناس بيعتهم في أعناقهم، وأعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم، أفترين أن ينقضوا عهودهم ومواثيقهم ؟ فلما سمعت ذلك عائشة علمت أنه سيمضي على أمره، فقالت: أما ما ذكرت من عهود ومواثيق، فاتق ا في هؤلاء الرهط، ولا تعجل فيهم، فلعلهم لا

_____ (1) في العقد الفريد: مرحبا بسيد شباب المسلمين. وفي ابن الاثير 2 / 511: لقيه الحسين أول الناس، فلما نظر إليه قال: لا مرحبا ولا أهلا، بدنة يترقرق دمها وا مهريقه. فقال: مهلا فإني وا لست بأهل لهذه المقالة. وقيل إن الحسين لاقاه لما دنا من المدينة فكان لقاء معاوية له شيئا ثم أنه ندم على ما كان منه فعندما لقيه ببطن مر، بعد خروجه من المدينة، رحب به وأمر له بدابة وساير فالتبس على بعض المؤرخين خبر اللقاءين. ولم يذكر فيمن استقبله عبد ا بن عباس (وانظر فتوح ابن الاعثم 3 / 234). (2) وكان معاوية قد قتله سنة 38 وكان محمد عاملا على مصر لعلي بن أبي طالب وقد قتله معاوية بن حديج (انظر تفاصيل مقتله في الطبري 5 / 94 وما بعدها). (*)

_____